قراءة في كتاب
المرأة في مرآة الجلال والجمال
لآية الله العلّامة عبد الله جوادي آملي حفظه الله

• د. أماني جواد [1]

ملخص

في زمن يُنظر فيه إلى المرأة نظرةً ماديةً ليبراليةً، وتُفرّغ فيه من بُعدها الروحي والإلهي، لا يُهتم فيه بالهوية الحقيقية للمرأة، وتحت شعارات الدفاع عن حقوقها وُجِّهت أقسى وأعمق الضربات إلى هويتها، نقف بين يدي العلامة آية اللّه جوادي آملي حفظه الله، هذا الفيلسوف الإلهيّ الذي يتناول جميع القضايا من منظورٍ توحيديّ عميق، يدمج فيه بين القرآن والبرهان والعرفان، ليقدّم رؤى كاملة وشاملة للوجود والإنسان.

ومن أهم ما ألّفه العلامة آية اللّه جوادي آملي في قضية المرأة كتابه «زن در آينه جلال وجمال»، الذي عُني بترجمته إلى اللغة العربية الأستاذ خليل عصامي، وتولّى تحقيقه وتدقيقه الشيخ محمد عبد المنعم الخاقاني، في ٤٥٢ صفحة، تحت عنوان «المرأة في مرآة الجلال والجمال»، ليكون في متناول القارئ العربي، فيتعرّف من خلاله إلى المرأة باعتبارها آيةً من آيات الجمال الإلهي، وتجلّيًا من تجلّيات الكمال في الوجود.

ولا يقتصر هذا الكتاب على تقديم رؤية اجتماعية أو حقوقية للمرأة فحسب، بل يفتح العلّامة أفقًا عميقًا توحيديًا يوضح كيف ينظر اللّه ﷻ إلى المرأة، من خلال الآيات القرآنية، والروايات المأثورة، والمباحث العرفانية والبرهانية. ويمثّل هذا الكتاب خلاصةً لبحوث ألقاها آية اللّه جوادي آملي في جامعة الزهراء في مدينة قمّ المقدسة، على مسامع الأخوات الطالبات اللواتي كن يدرسن في مستوياتٍ عالية في مجالي المعقول والمنقول.

يبدأ الكتاب بمقدمة للكاتب يوضّح من خلالها سبب تسمية الكتاب بـ«زن در آينه جلال وجمال» (المرأة في مرآة الجلال والجمال)، ثم يقسّم مباحثه إلى أربعة فصول، هي:

الفصل الأول: «المرأة في القرآن الكريم»

الفصل الثاني: «المرأة في العرفان»

---

١. دكتوراه فلسفة وكلام إسلامي، كلية فارابي جامعة طهران Email:

الفصل الثالث: «المرأة في البرهان»

الفصل الرابع والأخير: «الإجابة على الشبهات»

مقدمة

تناول العلاّمة جوادي آملي في مقدّمته، الممتدّة على قرابة سبعٍ وأربعين صفحة، الإطار النظريّ الذي بنى البحث عليه. يبدأ العلاّمة بنقطةٍ في غاية الأهميّة، وهي أنّه لا يمكن فهم حقيقة المرأة إلا من خلال النظر إلى نظام التجليّات الإلهيّة في عالم الخلق، ويمهّد من خلال هذا المنطلق المعرفيّ والتوحيديّ إلى المكانة الخاصّة للمرأة في الإسلام.

يقول في بداية مقدّمته إنّ للّه تعالى أسماءً وصفات عين ذاته، تنقسم إلى جماليّة وجلاليّة، ولهما مظاهر مختلفة، وإنّ كمال الوجود الإلهي يتجلّى في وحدة هذين البُعدين، فـ«الجلال الإلهي مخبوءٌ في جماله، وجماله مخبوءٌ في جلاله». إنّ الجمال الإلهي هو مظهر الرحمة واللطف، والجلال الإلهي هو مظهر العظمة والهيبة. فيتّضح للقارئ، من خلال هذا التأسيس، أنّ كل ما يبدو في عالم الخلق من لطفٍ أو شدّة إنّما هو تجلٍ لإسمٍ من أسماء اللّه الجماليّة أو الجلاليّة.

ثم يطرح مصاديق تشريعيّة وتكوينيّة، يمثّل من خلالها أنّ كل جمال يحمل في طياته جلالاً، والعكس صحيح. ومن أبرز النماذج التي ذكرها: أحكام القصاص والجهاد والطلاق، وأمثلة من أقوال الرسول الأكرم ﷺ، حيث يقول إنّ الجنة قد حُفت بالآلام والمصاعب، وإنّ النار حُفت بالشهوات:«حُفت الجنّة بالمكاره، وحُفت النار بالشهوات»[1]، ليؤكّد أنّ الجلال الإلهيّ طريقٌ إلى الجمال الأخرويّ.

ثمّ ينتقل العلاّمة إلى شرح أنّ هذا التلازم بين الجمال والجلال لا يقتصر على التشريع فحسب، بل يمتدّ إلى وجود الإنسان الكامل، فيُبيّن كيفية تجلي الجمال والجلال الإلهيين في الإنسان الكامل، وكيف تجلّى هذا الأمر في شخصيّة الرسول الأكرم ﷺ، حيث مزج بين الجمال والجلال في جميع الشؤون السياسية والعسكرية، والمواقف الثقافيّة. فالإنسان الكامل هو المظهر الأتم والأكمل للأسماء الإلهيّة، يجمع بين الصبر والجهاد، وبين الرحمة والهيبة. كما أنّ القرآن نفسه يجمع بين الجمال والجلال الإلهيّين في أحكامه المختلفة.

---

١. محمد باقر بن محمد المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٧٨.

ثمّ يمهد للحديث عن تجلي الجمال الإلهي في المرأة، من خلال طرح نوعين من الجمال: الجمال النفسي، والجمال النسبي. فجميع الكائنات جميلة من جهتين: من جهة نسبتها إلى اللّه تعالى، ومن جهة أنّه تعالى أحسن خلق كل شيء، وهذا هو الجمال الذي يعبرّ عنه العلاّمة بالنفسيّ. أمّا الجمال النسبيّ، فهو جمال الكائنات عند المقارنة بين بعضها البعض.

يشير العلامة إلى أنّ الفهم السطحي لبعض من روايات أهل البيت عليهم السلام أدى إلى إثارة شبهات عديدة، تصور من خلالها بعضهم أنّ للرجل أفضيلة على المرأة في الإسلام. ويؤكد أنّ النظر إلى النصّ الديني بمعزلٍ عن الهدف الإلهيّ في الخلق والتشريع يُعد منهجًا خطيراً في الفهم الديني. ويوضّح العلاّمة في هذا القسم من البحث، وفي مواضع أخرى من الكتاب، أنّ عددًا من الروايات قد أُسيء فهمها نتيجة التعامل معها تعاملاً تجزيئيًا أو ظاهريًا، في حين لا بدّ من قراءتها ضمن المنظومة الكلّية للدين.

ومن هنا، يقدم شرحًا دقيقًا للروايات التي تتحدث عن «نقص عقول النساء» أو عن كون «عقول النساء في جمالهن وجمال الرجال في عقولهم»[1]، موضحًا أنّ هذه الروايات لا تنطوي على مدح أو ذم، بل تعبر عن اختلاف في أساليب التجلي الإنساني للعقل. فالمرأة تبرز عقلها في رقة العاطفة، وحسن القول، ونبل السلوك، وفي نمط الحوار، بينما يظهر الرجل حكمته في الجلال والعزيمة. ويعيد العلامة تعريف العقل وفق الرؤية الإسلامية، رابطًا إياه بمبدأ العبودية والعلم ومعرفة اللّه، لا بمجرد القدرة الذهنية المجردة.

كما يتناول الكتاب المكانة الخاصة للمرأة في ضوء عددٍ من الآيات القرآنية، موضحًا أنّ تحقيق المودّة والرأفة في المجتمع ينطلق من الأسرة. فالمرأة هي اللبنة الأولى في دائرة الرحمة الإلهية؛ وبروح الأمّ تتكوّن علاقات الحنان والإيثار. وتناط به مهمة بناء الروابط الرحميّة، في المقابل الرجل مسؤول عن الأعمال التنفذية وتأمين نفقات العائلة ونظائر ذلك. ومن هذا المنطلق، يركز القرآن الكريم على جهود المرأة -الأم- بشكل مكرر في الآيات التي تأمر ببر الوالدين، مؤكدًا أنّها هي التي تتعب مع الأبناء منذ الحمل وخلال فترة الرضاعة وتبعًا لذلك في تربية الأبناء. فالمرأة هي اللبنة الأساسية في تشكيل دائرة الرحمة الإنسانية.

ثم يفتح العلامة بحثًا دقيقًا في مبدأ خلق المرأة والرجل، مستشهدًا بالآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

---

١. محمد بن علي ابن بابويه، الأمالي (النص)، ص٢٢٨.

﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [1].

ليخلص إلى أنّ كلا الرجل والمرأة مخلوقان من ذات وجوهر واحد، وأنّ المبدأ القابلي للخلق الإنساني واحد، ولا امتياز للرجل على المرأة في أصل الخلقة. كما يرفض الروايات غير الموثوقة التي تزعم أنّ المرأة خُلقت من ضلع آدم، موضّحًا أنّ هذا القول يخالف ظاهر القرآن.

ثم ينقض العلامة النظرة الخاطئة المتعلقة ببنيان العائلة وسر خلق المرأة، موضحًا أنّ السر الأصيل في خلق المرأة وسر انجذاب كل من الرجل والمرأة إلى الآخر، ليس الدافع الغريزي أو الشهواني المشترك مع عالم الحيوان، بل تحقيق السكينة والطمأنينة والاستقرار النفسي الذي يتكون من خلال حضور المرأة داخل الأسرة. فمنشأ حبّ الرجل للمرأة هو سكونه في ظل الأنس بها، عبر المودة والرحمة التي جعلها اللّه تعالى بينهما. فالميل الإنساني بين الرجل والمرأة ميل أُنسي، لا شهواني محض.

وأما قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ [2]، فلا يقرّر سلطة ذكورية مطلقة، بل يشير إلى دور الرجل في الإدارة والنفقة والدفاع، في مقابل دور المرأة في إظهار الجمال والعاطفة وبناء السكينة داخل الأسرة.

وفي خاتمة المقدمة، يوضح المؤلف أنّ رسالة المرأة هي إظهار الجلال الإلهي في مظهر الرقة والعاطفة، بينما تتمثل مهمة الرجل في إظهار الجمال في ثوب العقل والحكمة. ومن هنا جاءت تسمية الكتاب «المرأة في مرآة الجلال والجمال»؛ إذ إنّ الجلال والجمال مفهومان متكاملان لا متقابلان. ويقول في خلاصة رأيه:

«إنّ نظرة الإسلام إلى المرأة واضحة، فهو يرى ضرورة تنظيم حقوقها، وإنّ لحيثيتها صبغة إلهية، فهي من حقّ اللّه لا حقّ الناس، فلا يجوز لأحد هتك حرمتها، والجميع مكلّفون بحماية مكانتها، وهذا من الواضحات في الأحكام الدينية. فلو تجاوز عليها أحد وهتك عرضها وجب عليه الحدّ ولا شيء يسقط الحدّ عنه»[3].

ويختم بقوله: «الآن وقد اتّضح جلال المرأة وعظمة خلقها، وتبين جمالها الممزوج بالرأفة

---

١. سورة النساء، الآية ١.
٢. سورة النساء، الآية ٣٤.
٣. عبد اللّه جوادي آملي، المرأة في مرآة الجلال والجمال، ص٤٤.

والمحبّة في ظلّ جلال نبوغها، تتبين رسالتها المتمثّلة في إظهار الجلال الإلهي في حلّة الجمال الخلاب للرأفة والعاطفة»[1].

الفصل الأول: المرأة في القرآن

يفتتح العلامة هذا الفصل ببيان بعض المبادئ التصورية التي يبني عليها بحثه، ومن بينها مباحث ترتبط بالتفسير الموضوعي، وتقديمه على التفسير الترتيبي. ويعتبر العلامة القرآن الكريم المصدر الأول لفهم حقيقة المرأة.

ويوضح أنّ منهجه في دراسة المرأة في القرآن الكريم يقوم على التفسير الموضوعي، من خلال جمع جميع الآيات المرتبطة بموضوع المرأة، ثم تصنيفها وترتيبها. وبعد ذلك تُجمع الروايات التفسيرية المرتبطة بهذه الآيات، ليتم في المرحلة التالية ترتيب الروايات وفق المنهج الموضوعي نفسه، ثم استنباط النتائج من مجموع الآيات والروايات.

ويؤكّد العلاّمة جوادي آملي أنّ هذا المنهج هو طريق أهل البيت عليهم السلام في فهم الدين، وأنّ ما يُشاهد من اضطراب في فهم القضايا الحساسة، كموضوع المرأة، وحريتها، وعقلها، ومشاكلاتها، إنّما هو نتيجة الإعراض عن هذا الترتيب المستقى من مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

حقيقة الإنسان: أصالة الروح وعرضيّة البدن

يتناول العلاّمة في هذا القسم من البحث مفهوم الإنسان من منظور القرآن الكريم، مشيراً إلى أنّ القرآن لا يطرح مسألة الرجل والمرأة من زاوية الذكورة والأنوثة فحسب، بل يدعو إلى النظر إليهما من حيث الصورة الإنسانيّة. فالمعيار القرآنيّ في تعريف الإنسان لا يقوم على الجنس، بل على الحقيقة الإنسانيّة المشتركة.

ويؤكّد أنّ الروح هي التي تشكل جوهر الإنسان، لا الجسد؛ إذ إنّ الروح هي التي تمنح الإنسان إنسانيّته، وتُعد العنصر الأساس في تحديد هويته. ويستنتج العلاّمة أنّ حقيقة كلّ شخص تتمثل في روحه، أمّا الجسد فليس سوى أداةٍ لهذه الروح، وهذه الأداة قد تكون مذكّرة أو مؤنّثة، من دون أن يؤثّر ذلك في قيمة الإنسان أو إنسانيّته. ومن هنا، يدعو إلى تقييم الأفراد على أساس روحهم ومكانتهم الإنسانيّة، لا على أساس الفروق الجسديّة أو الجنسيّة.

---

١. المصدر نفسه، ص٤٦.

ويؤكّد أنّه لا يوجد أيّ تفاوت أو أفضليّة بين الرجل والمرأة من جهة الجوهر والحقيقة الإنسانيّة. فجميع القيم ومضادّات القيم هي محمولات للروح، أو كما يعبّر القرآن: النفس، أو الفؤاد، أو القلب، أو الصدر. وبما أنّ هذه الصفات لا تُنسب إلى البدن، فلا مجال لطرح الذكورة أو الأنوثة في هذا المستوى. وكذلك في القيم الأخلاقيّة العائدة إلى العقل العمليّ، كالإرادة، والإخلاص، والإيمان، والتهذيب، والصبر، والتوكّل، وغيرها، لا يوجد ما هو مذكّر أو مؤنّث، ولا ما يختصّ بأحد الجنسين دون الآخر. فإذا كان الصبر لا جنس له، فلا يختلف الرجل والمرأة في مقام الصابر. كما أنّ الأمراض الروحيّة والرذائل الأخلاقيّة تُنسب إلى القلب، وهو لا يوصف بذكورةٍ أو أنوثة.

وبما أنّ الروح غير مذكّرة ولا مؤنّثة، فإنّ التفاوت بين الرجل والمرأة في هذا المستوى منتفٍ بانتفاء الموضوع، لا بانتفاء المحمول. ولا يبقى بينهما اختلافٌ إلا في مستوى الأعمال التنفيذية أو الأدوار العملية، لا في الحقيقة والجوهر. ويؤكّد القرآن الكريم هذه الرؤية حين يعتبر أنّ حقيقة الإنسان هي روحه، وينسب هذه الروح، التي هي الأصل، إلى اللّه تعالى، ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾[1].

وتختلف هذه النظرة القرآنية جذريًا عن النظرة الإلحادية التي تقسم الإنسان إلى نوعين وتعتبر حقيقة الإنسان هي البدن الذي صنع على صورتين مختلفتين.

لغة القرآن لغة ثقافة الخطاب والحوار

يرى العلّامة أنّ لغة القرآن الكريم في كثيرٍ من آياته هي لغة الحوار والخطاب، وأنّ جوهر الخطاب القرآني موجه إلى روح الإنسان وحقيقته، لا إلى بدنه، ولذلك لا يتصف بالذكورة أو الأنوثة. ويؤكّد أنّ استخدام صيغة المذكر في الآيات القرآنيّة لا يدلّ على تفاضل الرجل على المرأة، بل يرجع إلى ما يسمّيه «لغة الحوار»، وهي لغة تخاطب الناس والجمهور من دون تفريق بين الرجل والمرأة.

ويقدم العلامة عدة شواهد قرآنية على ذلك، منها قوله تعالى:

﴿إِنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[2] وقوله ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[3] حيث يظهر في هذه الآيات ألفاظًا مذكرة مثل «عامل» و«منكم» وضمير «هو»، ثم تتبع بعبارة «من ذكر أو أنثى» لتأكيد شمول الجنسين، وأنّ استعمال الصيغة المذكرة جاء انسجامًا مع أسلوب الخطاب السائد.

---

١. سورة الإسراء، الآية ٨٥.
٢. سورة آل عمران، الآية ١٩٥.
٣. سورة النحل، الآية ٩٧.

كما يستخدم القرآن الكريم ألفاظًا عامة مثل «امرئ» و «نفس» و «إنسان» للدلالة على المسؤولية الفردية عن العمل، مما يثبت أنّ مناط التكليف هو الكيان الإنساني وليس جنسه.

ومن الشواهد أيضًا قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [1] وقوله ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ [2]، حيث استخدم جمع المذكّر في مقام المدح والذم، لا لعدم وجود قانتاتٍ أو خاطئات، بل جريًا على ثقافة الخطاب والحوار، لا على أساس تفضيلٍ جنسي أو حصرٍ دلالي، وهي صيغ لا تختص بالرجل وحده.

ويخلص العلّامة إلى أنّ الذكورة والأنوثة من صفات البدن، أمّا الروح فهي حقيقة الإنسان، ولا تجنيس فيها. وبناءً على ذلك، ينبغي فهم الخطاب القرآنيّ في ضوء لغة الحوار التي تعتمد صيغة المذكر للدلالة على الشمول، فتنتفي بذلك أيّ حجة تزعم تفضيل الذكور على الإناث في الخطابات القرآنيّة، سواء في المقامات المعنويّة أو القيميّة، اعتمادًا على ظاهر بعض الألفاظ.

شواهد قرآنية: الإنسان والملائكة

يستدل العلامة على أنّ القرآن ينفي التجنيس عن الملائكة، وأنّ الإعتقاد بأنهم إناثًا هو توهم وثنيّ مرفوض. ويطرح أمثلة قرآنية تثبت وجود قواسم مشتركة بين الإنسان والملائكة في بلوغ بعض من الكمالات العلمية والعملية تثبت أن روح الإنسان مجردة عن التجنس.

وتضع الآية ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [3] شهادة أولي العلم إلى جانب شهادة الملائكة، وبما أنّ الملائكة لا جنس لهم، يتبين أنّ المراد من أولي العلم ليس الرجال العلماء فقط؛ إذ إنّ العالم هو الروح، والروح لا توصف بذكورةٍ ولا أنوثة.

كما يستدل بآية أخرى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [4] لإثبات أنّ الكرامة والتفاضل إنّما يكونان في الإنسانية وحقيقة الإنسان، ومن خلال سلوك طريق الملائكة لا من خلال خصوصيات الجنسيّة البدنية.

شواهد قرآنية: خلافة الإنسان مقام لا يختص بالذكور

إنّ التكريم الإلهي للإنسان، سواء في سجود الملائكة له أو في منحه مقام الخلافة، مرتبط ارتباطًا

---

١. سورة التحريم، الآية ١٢.
٢. سورة يوسف، الآية ٢٩.
٣. سورة آل عمران، الآية ١٨.
٤. سورة التحريم، الآية ٤.

وثيقًا بالروح العالمة، وهي حقيقة مشتركة بين الرجل والمرأة على حد سواء. فروح الإنسان هي محل الكمال، وهي وعاء العلم ومصدر القرب من اللّه تعالى. ومن هنا، فإنّ كل إنسان -رجل أو إمرأة- مؤهل لأنّ يكون خليفة للّه تعالى من خلال تحقق العلم والعبودية والمعرفة وهذا هو ملاك التفاضل الذي ذكره اللّه تعالى في القرآن الكريم.

اهتمام القرآن بشخصية المرأة

اهتم القرآن الكريم بشخصية المرأة وحرمتها ومكانتها في سياق مشروع إلهي يهدف لإعادة الاعتبار للإنسانية في مواجهة الانحراف الجاهلي الذي أصابها. وقد أكد القرآن الكريم على حرمة المرأة، ومنحها سهمًا مهمًا في الشؤون الإنسانية، معلنًا المساواة في جوهرها الإنساني مع الرجل. كما تناول القضايا المرتبطة بالمرأة على أساس معيار قيمي لا جنسي.

ويقدم القرآن نماذج علمية وعملية من خلال قصص تشير إلى التوازن بين القوة الجاذبة، والقوة الدافعة، وقوة التفكر، ليبين أنّ التفاضل الحقيقي يقوم على مقدار الكمال الذي يكتسبه الإنسان في هذه القوى الثلاث.

ومن بين النماذج التي عرضها القرآن، قضية تعليم الأسماء (المقامات العلمية) التي تلقاها آدم عليه السلام، والتي تتعلق بـالعترة الطاهرة التي تسطع منها فاطمة الزهراء عليها السلام بوصفها أبرز مصداق للأسماء الإلهية، ونموذجًا أعلى بين النساء.

وفي مقام العفاف وقوة الشهوة، يشير العلامة إلى الآيات التي تتحدث عن قصة النبي يوسف عليه السلام وقصة السيدة مريم عليها السلام، مبينًا أن عفاف وحياء السيدة مريم عليها السلام كان ألطف وأعلى من مقام النبي يوسف عليه السلام وهو يدل على علو مقامها وعفتها التي تجاوزت مستوى التعلق برؤية البرهان كما في قصة النبي يوسف عليه السلام.

كما يتطرق إلى دور المرأة في تثبيت الدين والدفاع عنه؛ فقد أسهمت ثلاث نساء في حفظ رسالة نبي اللّه موسى عليه السلام والدفاع عنها، وهنّ: أمه، وأخته، وآسية، وبهنّ حفظت الرسالة من الإبادة.

ومن أهم ما عرض في هذا القسم أنّ المرأة في القرآن أسوة لجميع الناس، لا للنساء فقط. فالمرأة الصالحة، كآسية، ومريم بنت عمران، تمثل نموذج إنساني شامل وليس فقط مثال نسوي. وفي المقابل المرأة غير الصالحة تقدم أيضا بوصفها أسوة سلبية للرجال والنساء المفسيدين كامرأتي النبي نوح ولوط عليهما السلام.

ويختم هذا الفصل مشيرًا لعظمة المرأة:

«يتضح من هذا التقييم أنّ عظمة المرأة كانت موجودة في قاموس الوحي قبل نزول القرآن أيضًا، ولا تختص بالقرآن، بل إنها طرحت في الإنجيل والتوراة وصحف إبراهيم أيضًا، فالتكلم مع الملائكة وتلقي بشارتهم، وطرح الكلام عليهم، وسماع كلامهم، كل هذه هي حالات كانت المرأة مساهمة كالرجل في جميع ميادينها. وإذا كان أبو نبي تكلم مع الملائكة، فإن أم النبي تحادثت معهم أيضًا. لذا نرى أنه تعالى عندما يذكر النساء في القرآن، يعد أم مريم أو نفس مريم جزءًا من آل عمران ويجعلها في زمرة الأصفياء»[1].

الفصل الثاني: المرأة في العرفان

يخصص العلامة هذا الفصل للبحث عن أهم المواضيع التي تطرح في العرفان، وهي خلافة الإنسان. ويعتبر الإنسان وفق الرؤية العرفانية أية الحق الكبرى التي تتجلى فيها جميع الأسماء والصفات الإلهية. ويؤكد مجددًا أنّ الخلافة الإلهية إنّما هي لروح الإنسان وحقيقته وليس لبدن الإنسان، وعليه تتحقق الخلافة في كلا من الرجل والمرأة.

ويجيب العلامة عن اعتراض يطرح في هذا السياق، مفاده: إذا كان هذا المقام مشتركًا بين الرجل والمرأة، فلماذا بلغ الكثير من الرجال هذا المقام بينما لم ينقل من النساء إلا أربع؟ فيجيب عن ذلك بعدة وجوه:

أولاً: أنّ هناك كثيرًا من النساء اللواتي لم تسجل فضائلهن في التاريخ.

ثانيًا: ذكر هذه النساء الأربع لا يدل على الحصر.

ثالثًا: إذا كان لدى المجتمع نضج أكثر فإنّه يسعى لوضع إمكانات الرقي والسعادة تحت تصرف كلا الصنفين، وإذا كان المجتمع متأخرًا، فيجب عدم كتابة هذا التحجر الفكري للمجتمع على الدين؛ لأنّ الدين فتح الطريق لكلا الصنفين، ولم يشترط الذكورة لأي كمال، يُمنع بالأنوثة، إذ إنّ الاشتراط بالذكورة والأنوثة إنّما يتعلق بالأعمال التنفيذية فقط.

ويؤكد العلامة على خلو المعاد من الذكورة والأنوثة لأن المعيار فيه هو عمل الإنسان وروحه، لا صفاته البدنية.

---

١. عبد اللّه جوادي آملي، المرأة في مرآة الجلال والجمال، ص١٧٣.

ارتباط البدن والروح

يُثار أحيانًا إشكال مفاده أنّ القدرات الفكرية للرجل أعلى من قدرات المرأة، استنادًا إلى أنّ حجم دماغ الرجل أكبر من دماغ المرأة. وقد ناقش العلامة هذا الإشكال بعمق، مبيّنا أنّه ينطوي على خلط بين البعد المادي للإنسان وبين حقيقته الروحية.

فالقدرة الإنسانية لا تنحصر في البدن؛ لأنّ الروح هي التي تملك زمام السيطرة على الجسد وتمنحه طاقته، كما أنّ العقل والبدن ليسا سوى أدواتٍ في يد الروح التي تمثل جوهر الإنسان. ثم يوضح العلامة أنّ الكمال الإنساني ذو وجوه متعددة؛ فكما أنّ هناك طريقٌ للعقل والتأمل، هناك طريقٌ آخر للمحبّة والعاطفة، ولكل من الرجل والمرأة نصيبه من هذه المسارات.

فالمرأة تمتلك أسلوبًا خاص في الفهم والتلقي، مبني على المحبة والقلب، بينما يميل الرجل إلى التحليل العقلي. ويبيّن أنّ المرأة بطبيعتها تمتاز برقة القلب ولطافة الميل الوجدانيّ، ما يجعلها أقدر على سلوك طريق القلب والانجذاب إلى الحقّ، وهو طريقٌ عظيم لا يقلّ شأنا عن طريق الفكر والتأمل، بل قد يسبقه في الوصول إلى اللّه. ويؤكد العلامة أنّه حتى مع اختلاف تركيب الرجل والمرأة من حيث البنية الجسدية، والجهاز العصبي، أو نمط التفكير، فإنّ هذا لا يعني تفاضلاً جوهريًا في الكمال الإنسانيّ. ويقول في هذا السياق:

«فمن المحتمل أن يكون عموم الرجال أوسع تفكيراً من عموم النساء، لكن لا يمكن لأحد أن يثبت أنّ الرجال أقدر من النساء على طيّ طريق القلب والموعظة والعاطفة والانجذاب الإلهي. فلكلّ طريقه الذي يناسب تكوينه الروحيّ»[1].

فإنّ طريق الذكر، والمحبّة، والموعظة، إن لم يكن أقوى من طريق الفكر والتأمل، فليس أضعف منه على أيّ حال. أما القول بأنّ الرجل أقوى تفكيراً وتنفيذًا، فهو لا يبرّر تفضيله في مقام الخلافة الإلهية أو في القرب من اللّه؛ لأنّ الشؤون التنفيذية لا تقود إلى الجنة. فالمعيار القرآنيّ الحاكم في التفاضل بين الرجل والمرأة هو التقوى، لا القوّة ولا الكفاءة العملية.

ويربط العلامة هذا التحليل بمقام العاطفة الوجدانية عند المرأة، فيشير إلى أنّ أقوى أسلحة المؤمن في الجهاد الأكبر ضدّ النفس هو البكاء والتضرع، وهما وسيلتان تمتلكها المرأة بطبيعتها

---

١. المصدر نفسه، ص ٢٠٤.

بدرجة أعلى؛ لما تتميز به من رقّة القلب، والرحمة، والبكاء، والتضرّع، وهي وسائل فعّالة لتهذيب النفس والتقرب من اللّه ﷻ.

ولهذا يختم العلامة بالتنبيه إلى «أنّ على النساء أن يدركن عظمة هذه النعمة، لأنّ اللّه جلّ شأنه زوّدهنّ بهذه القوى الروحية أكثر من الرجال، غير أنّ الواجب يقتضي استعمالها في مواضعها المناسبة»[1].

المرأة في كلمات العرفاء

بعد أن يشير العلامة إلى السير والسلوك في العرفان ومقام السالكين ينتقل لذكر ما قاله بعض من العرفاء في حق المرأة:

يقول القيصري في شرح الفص المحمدي من فصوص محيي الدين:«إعلم أنّ المرأة باعتبار الحقيقة عين الرجل وباعتبار التعين يتميز كل منهما عن الآخر» [2]، والمقصود من التميز هو في مقام التنفيذ.

ويقول ابن عربي معلقًا على مقام السالكين: «إنّ هذه المقامات ليست مخصوصة بالرجال، فقد تكون للنساء أيضًا، لكن لما كانت الغلبة للرجال تذكر باسم الرجال»[3]، و«في حالة أن يكون جثماني المرأة والرجل قد تهيئا للصلاة والدفن في القبر وأراد الإمام الصلاة عليهما صلاة واحدة فهل يجعل جثمان المرأة قريب من القبلة ومقدمًا ويجعل جثمان الرجل إلى جهته؟ أم بالعكس يجعل جثمان الرجل قريبًا من القبلة ويضع جثمان المرأة قريبًا منه؟ هنا رأي ابن عربي هو أنه بالنظر لأنّ المرأة هي محل تكوين الطفل وهي أقرب من الرجل إلى المكون الحقيقي أي اللّه تعالى، لذا الأجدر هو أن تقدم المرأة على الرجل وتكون أقرب إلى القبلة» [4].

وينهي العلامة هذا الفصل مشيراً إلى بعض من النماذج من المقامات العرفانية للمرأة مثل:

١. رابعة الشامية.

٢. رابعة البصرية العدوية.

٣. رابعة بنت اسماعيل.

---

١. المصدر نفسه، ص ٢٣٣.

٢. محمد داوود القيصري الرومي، شرح فصوص الحكم، ص١١٥٨.

٣. المصدر نفسه، ص١١٢١.

٤. ابن عربي محي الدين، الفتوحات، ص٨٩.

الفصل الثالث: المرأة في البرهان

بعد أن بحث العلاّمة في الفصل الأول من الكتاب عن مكانة المرأة من وجهة نظر القرآن الكريم، وبين الخصوصيّات التي يطرحها القرآن في قضية المرأة، وأنّه لا تفاضل ولا تمايز بين المرأة والرجل في حقيقتهما؛ لأنّ الحقيقة هي الروح، والروح لا أنوثة فيها ولا ذكورة، وأنّ معيار التفاضل بين الرجل والمرأة هو الورع والتقوى والقرب من اللّه تعالى؛ انتقل في الفصل الثاني إلى تناول مكانة المرأة من وجهة نظر العرفان، وقرّر أنّها شريكة للرجل في إمكان الوصول إلى مقام خليفة اللّه، وأنّ للمرأة خصوصيّة السلوك القلبي وما يتّصل به من رقة القلب والدمعة، وهو من أسرع الطرائق إلى اللّه ﷻ.

ثم يبدأ العلاّمة الفصل الثالث لإثبات عدم التفاوت بين المرأة والرجل وفقًا للبرهان العقلي. النقطة الأولى الأساس التي يذكرها العلاّمة: نعم، قد لا تنال المرأة القمّة التي بلغها رجلٌ كرسولِ اللّه، لكن هذا لا يدل على أفضليّة الرجل مطلقا؛ إذ إنّ كثيرًا من الرجال بل من الأنبياء والمرسلين والأولياء لم يبلغوا ذلك المقام أيضًا. فعدم بلوغ القمّة ليس ناشئًا عن كون الإنسان امرأة أو رجل، وإنّما يرجع لندرة ذلك المقام وكونه نصيب قلة من الكاملين.

وأمّا دليل عدم التفاضل في أصل الحقيقة، فهو أنّ الذكورة والأنوثة ليستا فصلا مُقوما للإنسان؛ بل هما من المُصنفات، بينما الفصل المقوم هو النفس الناطقة.

ولذا، حين يُقسم المناطقة الفصول إلى قريب وأقربَ وبعيد وأبعد، لا يذكرون الذكورة والأنوثة. وعليه، فإنّه متى ما تمت ذاتُ الإنسان وبلغت نصابها الوجودي، يُطرح بعد ذلك موضوع الذكورة والأنوثة، بوصفه أمرًا لاحقًا.

وفي قسم آخر من البحث، يذكر العلامة أنّ الذكورة والأنوثة لا أثر لهما في فعليّة الإنسان؛ لأنّهما تعودان إلى المادّة لا إلى الصورة، والصورة هي التي تحقّق الإنسانيّة. وبناءً على ذلك، فهما لا تختصّان بالإنسان، بل توجدان في الحيوان والنبات أيضًا.

ولو كانت الأنوثة والذكورة داخلتين في الصورة وجزءا من فعليّة الإنسان لما وُجدتا في كائنات أدنى منه. وعليه وكما مرّ في الفصول السابقة الروح هي التي تتمّم حقيقة الإنسان.

ويؤكد العلاّمة أنّه لا فرق بين المرأة والرجل من حيث العلل والعوامل الخارجيّة وأنّ محل البحث الحقيقي هو إمكان التفاوت من حيث العلل والعوامل الداخليّة، وهذا أمر لا يمكن اثباته على نحو مطلق.

فمدار البحث هو الروح لا الجسم ولا العوامل الخارجيّة؛ وهنا يتبيّن خطأ من أقام الشواهد

على التساوي المادّي بين المرأة والرجل، كما يتبين خطأ من أراد حصر المسائل في إطار الاختلاف المادّي أيضًا.

التفاوت العقليّ بين المرأة والرجل

يطرح بعضُهم أحيانا رجحان الجانب العقلي عند الرجل على المرأة، ويستشهدون بتجارب ماضية أو حاضرة. وهنا يشرح العلامة اصطلاح العقل في الروايات؛ فالعقل مشتركٌ لفظيّ: يُراد به في بعض النصوص معنى، وفي نصوصٍ أخرى معنى مختلف. فإذا قيل: العقل معيار الكمال الإنسانيّ، وفي مقدمة أخرى: أعقل الناس أقربهم إلى اللّه، ثمّ قيل: بما أنّ الرجل أعقل من المرأة فهو أقرب إلى اللّه فهذا مغالطة؛ إذ العقل في المقدّمة الأولى غير العقل في الثانية. العقل الذي يقرّب إلى اللّه هو ما عُبِدَ به الرحمن واكتسبت به الجنان؛ أي العقل العابد الذي يسيطر على الغرائز ويوازنها.

أمّا العقل الذي قد يتفوّق فيه الرجل على المرأة فهو في المعارف التنفيذيّة وإدارة الشؤون؛ وهذا لا يدل على القرب، بل القرب لمن يملك العقل العابد. وعليه، لا يستطيع أحدٌ أن يدعي أنّ هذا العقل أقوى في الرجل من المرأة؛ لا برهان عليه ولا تجربة. بل قد تكون المرأة في طريق القلب والموعظة مساويةً للرجل أو أقوى.

ويؤكد العلاّمة على مسألةً مهمة: إنّ القرآن الكريم قد يصف بعض ذوي القوّة العلميّة بالسفه إذا كانوا ضعفاء عمليا؛ فالمعيار ليس قّمة الفهم وحدها، بل اجتماع العلم والعمل. فالعقل قرآنيا ما يُدرك به الحقّ ويُعمل به.

وبالنظر في القصص القرآنيّة، نرى نماذج للعقل القرآني تجلت في شخصياتٍ نسائيّة، مثل ملكة سبأ التي تلقت كتاب سليمان، فميّزت الحق وأسلمت للّه، وكانت أعقل من كثير من الحكام والرجال.

النبوغ الفكري والسياسي للمرأة

ينتقل العلاّمة إلى النبوغ الفكري والسياسي للمرأة، ويقرر أنّ النبوغ ليس سبقًا زمانيا، وإنّما سبق رتبيّ في الفهم والعمل؛ ولهذا عظّم القرآن السابقين. وميزة السابقين أنّهم أدركوا حقّانيّة الإسلام قبل غيرهم. ومن أبرز النماذج النسائيّة: السيّدة خديجة عليها السلام، وسميّة رضي الله عنها؛ فسبق خديجة لم يكن زمانيا، بل رتبيًا، إذ كثير من الرجال تردّدوا في تشخيص الحقّ، أمّا هي فعرفت الحق وآزرته. وكذلك سميّة التي تميزت بالنضج الفكري والثقافي، ثم تحملت العذاب صبراً حتى الشهادة.

وأما لزوم حضور المرأة في الساحة السياسيّة فيشير العلامة إلى أنّ المرأة قادرة بل مطالبة

بمراجعة الطغاة وإحقاق الحقوق المهضومة، وأن تعتبر الدفاع عن حقوق الآخرين معروفًا، وحصر الدفاع في حقوق الأفراد بمعزل عن حقوق المجتمع منكرًا.

ومن النماذج، دخول سودة بنت عمّارة الهمدانيّة على معاوية وإنكارها عليه. كما يذكر نماذج أخر مثل، عمة النبيّ الأكرم ﷺ، وبنت الحارث بن عبد المطّلب في مواجهتها للحكومة الأمويّة، وأمّ حكيم وانتقامها من بسر بن أرطاة، وأمّ الخير التي خطبت بصفين، وغيرهنّ ممّن كان لهنّ دور سياسي مؤثر.

ومن جهة الأدب والشعر، يذكر العلامة أنه كما بلغ بعض الرجال منزلة رفيعة في سوق عكاظ، بلغت بعض النساء كذلك هذا المقام، ونظمن القصائد الطوال وعرضنها؛ ويذكر نماذج كـالخنساء.

ويختم العلاّمة الفصل الثالث بخلاصة: لو نظرنا في أي مجال عسكريا أو سياسيا، أو في كتب العرفان والحديث لوجدنا نساء نموذجيات كثيرات؛ غير أنّ اسم المرأة لأنه غالبا وراء حجاب لا يبقى له ذكر في المجتمع. والمفترض أن تكون هي في الحجاب واسمُها في الكتاب، ليظهر قدرها.

وبناءً على الشواهد القرآنيّة والعقلية والقلبيّة في الفصول الثلاثة، يمكن الجزم بأنّ الذكورة والأنوثة لا دخل لهما البتّة في التفاضل والتمايز بين المرأة والرجل، وأنّ الحديث عن حقوق المرأة وتكاملها وتساويها مع الرجل في المسائل الأخلاقيّة والتربويّة إنّما هو لتكوين أرضية النضج، فإذا كان للرجل سعيٌ وجهد، فللمرأة سعيٌ وجهد كذلك.

ويُنهي العلامة قائلا: لو أنّ قصص النساء في التاريخ وثقت كما وثقت قصص الرجال لكان الواقع على غير ما هو عليه اليوم.

الفصل الرابع: الإجابة على الشبهات

بعد أن تبيّن أنّ الإسلام لم يشترط في أي كمال من الكمالات المعنوية شرط الذكورة أو الأنوثة، فلا التذكير شرط للكمال، ولا التأنيث حاجب عن بلوغ الكمال، وطريق الكمال مفتوح أمام كلٍ من الرجل والمرأة، وكلٌ يطوي هذا الطريق حسب القدرة والاستعداد.

وكل ما يُعتبر جوهرًا في الكمال فلا فارق فيه بين المرأة والرجل، وكل ما هو سبب في التفاوت بينهما لا دور له في الكمال، وإذا حصل أحد الفريقين على نصيب من التوفيق أقل من الآخر، فالنقص نابع من سوء اختيار نفس ذلك الفريق، لا أنّ الدين الإسلامي لم يفتح الأبواب المشرعة أمامه.

شبهة نقصان إيمان المرأة

يحذر العلامة من أخذ الرواية التي تشير إلى أنّ إيمان المرأة ناقص من دون النظر إلى سياقها التاريخي. فالحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام حيث يقول فيه: «معاشر الناس، إنّ النساء نواقص الإيمان، نواقص الحضوض، ونواقص العقول»[1]، هو حديث يجب أن يُفهم في سياقه التاريخي لكي يتضح ما قصده أمير المؤمنين عليه السلام.

في الجواب يقول العلّامة إنّ بعض العوامل التاريخية قد تقتضي مدحًا أو ذمًا لحادثة أو مكان أو شخصية أو ظرف في ذلك الزمان المعين، ولا يعني هذا أنّ أصل طبيعة ذلك الشيء تستحق المدح أو الذم.

وإذا تضمّن نهج البلاغة ذما للمرأة، فيبدو أنّ بعض هذا الذمّ ناتج عما جرى في معركة الجمل، مثل ما ورد من ذم للبصرة والكوفة، مع أنّهما قدمتا للإسلام الكثير من الثوار. فيُفهم أن هذا الذمّ مرتبط بعوامل خاصة وزمان خاص.

يوضح العلّامة بشكل كامل المقصود من الحديث الذي ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام وفقًا لما جرى في حرب الجمل، وكون عائشة هي التي أثارت هذه الحرب وهيّجت الناس ليتبعوها، فاتبعها كثير من الرجال. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «كنتم جند المرأة وأتباع البهيمة»[2] أي الجمل الذي ركبت عليه عائشة.

ذم المرأة

أما بالنسبة لما ورد في ذمّ عبادة المرأة وعبادة الدنيا في قوله عليه السلام: «المرأة عقرب حلوة اللبسة»[3]، فليس هذا ذمّا للمرأة، بل تحذير من أن يخدع الرجل بالمرأة.

وقد ورد نظير هذه الرواية بالنسبة للدنيا، إذ قال: إنّ الدنيا مثل الحيّة لين ملمسها وسمّها في داخلها[4]، فعندما يقال إنّ المرأة عقرب حلوة اللبسة، فالمعنى أنّ النظر إلى الأجنبية حلو، إلا أنّ هذا الحلوّ باطنه عقرب، لا أنّ المرأة عقرب.

ويقول العلّامة إنّ هذه المسائل لو تم بيانها لتبيّن أنّ المرأة لم تُذمّ باعتبارها امرأة، وإنما لكل من هذه الأحاديث والروايات توضيح وشرح مفصّل، إما وفقا للتوضيحات الأدبية واللغوية، أو أنّها

---

١. محمد بن حسن الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٢، ص٣٤٤.
٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٣ في ذم البصرة وأهلها.
٣. نهج البلاغة، ص ٤٧٩، طبعة صبحي الصالح.
٤. نهج البلاغة، ص ٤٨٩، طبعة صبحي الصالح.

تتعلق بشخص معين أو مكان معين أو زمان معين أو عوامل خاصة.

تقدم المرأة في أشرفية التكليف

يؤكّد العلامة جوادي آملي على تقدم المرأة في التشرف بالتكليف، وذلك أنّ اللّه ﷻ يتلقاها قبل أن ينهاهز ست سنواتٍ من تكليف الرجل. فما أن تتجاوز المرأة سن التاسعة من عمرها وتدخل العاشرة حتى يستقبلها اللّه ويكلمها ويوجب عليها الصيام ويسمع مناجاتها، في الوقت الذي لا يزال فيه الرجل منشغلا باللعب باعتباره يافعا، بينما المرأة منشغلة بالدعاء والابتهال والصلاة.

المرأة والتكاليف الإلهية

أما بالنسبة لسبب عدم فرض بعض التكاليف على المرأة، كالمشاركة في صلاة الجمعة والجماعة وتشييع الجنائز وأمثال ذلك، فلا بدّ من توضيح هذه الروايات بشكل صحيح. إنّ هذا «الحرمان» هو في حد الرخصة لا في حد العزيمة، أي إنّ اللّه ﷻ لا يلزم المرأة بالذهاب إلى صلاة الجماعة أو الجمعة أو تشييع الجنائز، ولكن ليس بمعنى عدم جواز مشاركتها. فقد وردت أحكام أخرى في صلاة الجمعة، منها أنه في حال تعيّنت ووجبت، فعلى المكلف أن يسافر مسافة فرسخين للحضور فيها.

وكذلك بالنسبة للجماعة، فإنّ صلاة الجماعة في الإسلام على قدر كبير من الأهمية بحيث يشترط الإسلام على جيران المسجد شهودها. فرفع اللّه ﷻ هذا الوجوب عن المرأة نظرًا لخصوصياتها ودورها في المنزل، لا بمعنى الحرمة أو الامتناع.

قيومية الرجل

أما بالنسبة لمسألة قيوميّة الرجل على المرأة، فإنّ هذا البحث يطرح عند الحديث عن المرأة بعنوانها زوجة في مقابل الزوج، لا بعنوان امرأة في مقابل رجل. فالمرأة والرجل، باعتبارهما صنفين، ليس بينهما أي تفاضلٍ أو تمايز.

أما في إطار الزوجية، فتأتي حالة القيوميّة للرجل، وهي على الرغم من لزوم وجودها داخل الأسرة، إلا أنها لا تعدّ دليلاً على الكمال أو القرب من اللّه، ولا فخرًا معنويًا، بل هي عمل تنفيذي يصبح فيه الأب مسؤولا عن الأمور التنفيذية داخل الأسرة، وذلك لتنظيم المسائل الاجتماعية والاقتصادية والسعي وبذل الجهد في كسب المال.

حقوق المرأة الإجتماعية والحقوقية في القرآن

يتطرق العلامة في هذا القسم من البحث لأهمية حقوق المرأة الحقوقية والاجتماعية في القرآن،

فإنّ القرآن يذكر حقوق المرأة التي يتعلق بعضها بالإرث، وبعضها بالنكاح، وبعضها بتعدد الأزواج، وبعضها بالمهر وما شابه ذلك. ويلفت القرآن أنظار الناس إلى حسن المعاشرة و«معاشرة النساء بالمعروف»، وهذه المعاشرة لا تختصّ بالشؤون العائلية فقط، ففي بعض الأحيان يكون التعصب الجاهلي دافعًا لتلقين الرجل أنّ المرأة غير كفوءة لتكون لها مشاركة فعالة في المجتمع.

ينبه العلامة قائلاً: وقدّموا لهنّ حق المشاركة في المجتمع في ميادين السياسة، والصحة، والثقافة، والتعليم، على أن يكون ذلك في ظل الحجاب وسائر الضوابط الشرعية.

فالمرأة في الإسلام تُستحضر إلى ساحة المجتمع بصفتها مظهرًا للعاطفة، والرقة، والرحمة، والوفاء، لا أداةً لإشباع الغرائز كما هو حال النظرة الغربية. فالعالم الغربي سلب المرأة حجابها، ليدخلها إلى السوق كأداة للتسويق والإغراء، وحينها لم تعد قادرة على أداء دورها الإنسانيّ الصحيح.

أما الإسلام فيؤكّد على دخول المرأة إلى المجتمع ضمن الضوابط الشرعية، وفي مقدمتها الحجاب، لتقدّم درس العفة، لا لتُشيع الشهوة والغريزة، كما يسعى إلى ذلك العالم الاستكباري.

وعلى هذا الأساس، يشير العلامة كذلك إلى أنّ بعض الأعمال التنفيذية مخصوصةٌ بالمرأة، ولا يجوز للرجل المشاركة فيها إلا عند الضرورة، كما أنّ هناك أعمالاً تنفيذية مختصّة بالرجل، ولا يجوز للمرأة أن تشارك فيها. غير أنّ هذا كله لا يدلّ على الأفضلية أو التفاضل، إنما هو تنظيمٌ وظيفي لإدارة شؤون الحياة.

وفي ختام هذا الفصل، يبيّن العلامة أنّ كثيراً من التهم الموجّهة إلى الإسلام، بدعوى أنه حرم المرأة من حقوقها لا أساس لها من الصحّة. وحتى لو وُجدت آيات أو روايات يُفهم منها ذلك من ظاهر العبارات، فلا بدّ من قراءتها في سياقها، وملاحظة شأن نزولها، وفهمها وفق دلالاتها اللغويّة الصحيحة.

وعليه، يسعى العلاّمة في هذا الفصل الأخير إلى إثبات المقام الرفيع الذي يقدّمه الإسلام للمرأة، ويصونها بوصفها ريحانة وتجليا للجمال الإلهي، تحقق السكينة في البيت والمجتمع. كما ينزّه الإسلام المرأة عن الصورة التي يروّجها الغرب، والتي تسلب منها جوهرها الإلهيّ. فيجيب عن كثير من الشبهات المتعلّقة بدية المرأة والرجل، وإرث المرأة والرجل، ودور المرأة في التعليم، والهداية، والجهاد، والهجرة، وسائر الأعمال التنفيذية والعبادية.

ويختم الكتاب بالحديث عن حجاب المرأة، بوصفه زينةً تصون كرامتها، ووسيلةً تحفظ كمالها الإنسانيّ، لا حبسًا لها ولا عائقًا أمام تطوّرها وتقدّمها.